

المبحث الأول لمحة تاريخية عن الكرد ودخولهم في الإسلام

المطلب الأول : الكرد قبل الإسلام :

الشعب الكردي من الشعوب الآرية والفروع الإيرانية ، يشتركون مع الفرس والأفغان والأرمن في دوحه واحده ، وهم عريقون في بلادهم التي تعرف بـ (كردستان - أي : موطن الكرد) منذ آلاف السنين ، ولكن التاريخ المعروف اليوم لم يحط بعدُ بمنشئهم ولا بدء ظهورهم على مسرح الوجود ، وموطنهم الذي يقع فيما يعرف اليوم بالشرق الأوسط يمتد من أرضروم وأرزنجان وضايف بحيرة وان إلى قرب خليج الصرة طولاً ، ومن شرقي مرعش إلى غربي أورمية وأصفهان عرضاً ، فضلاً عن جاليات كردية مبعثرة خارج كردستان في غرب الأناضول واستنبول والشام وأفغانستان وبلاد الغرب وأمريكا حالياً ، ولا يعرف عددهم بشكل محدد لعدم وجود إحصائيات دقيقة ، لكن يقدر المختصون عددهم بأكثر من ثلاثين مليون نسمة . وهم في أغليبيتهم مسلمون سنيون على مذهب الإمام الشافعي - رحمه الله - وهناك أعداد قليلة منهم يعتنقون مذهب الشيعة ، وأقل منهم يعتنقون بعض المذاهب والأديان الخارجة عن الإسلام .

ولهم لغة خاصة تعرف باللغة الكردية وهي لغة آرية تتحد مع الفارسية من حيث كونهما من أصل واحد ، وقد انقسمت على عدة لهجات أوسعها اللهجة الشمالية التي تعرف بالكرمانجية ويتكلم بها أكثر من ثلثي الكرد ، واللهجة الجنوبية التي تعرف بالسورانية ، فضلاً عن لهجات أخرى صغيرة ، وهي - أي : اللغة الكردية - تكتب

اليوم بالأبجدية العربية وكذلك اللاتينية ، وهي تتميز بثنائها من حيث المفردات والتراث الأدبي المكتوب والشفوي (١) .

أما تاريخ الكرد فهو مليء - قديماً وحديثاً - بالعديد من الثورات التي كانت ترمي إلى التحرر من حكم الأجانب والتخلص من ظلمهم ، وقد ساعدتهم على القيام بسلسلة طويلة من الثورات وعورة وديانهم وحصانة جباهم .. ثم إن كثرة الخيرات الموجودة في كردستان وخصوبة أراضيها دفعت بالكثير من الطامعين إلى التفكير في فتحها والسيطرة عليها ، فكانت بذلك مسرحاً للحروب والفتن وتنافس الجيوش المتقاتلة ، إلا أن الكرد قاوموا كل هذه الغارات والمناحرات ، وحفظوا على كياناتهم القومي ولغتهم وموطنهم ، وكانوا قبل دخولهم في الإسلام كجيرانهم الفرس على العقيدة الزرادشتية ، وكانت القلة منهم على النصرانية .

كانت بلاد الكرد قبل الفتح الإسلامي تابعة للدولة الساسانية الفارسية (٢) ، ولكن استطاع الرومان في أواخر القرن الثالث الميلادي بسط نفوذهم على بعض المقاطعات الكردية الغربية (التابعة للدولة الساسانية) بعد انتصارهم سنة ٢٩٧ م ، ونتيجة لصلح أبرم بين الساسانيين والرومان ألحقت خمس ولايات كردية بالدولة

(١) كتب العديد من الكتب والدراسات حول الكرد وأصلهم من قبل الكرد وغيرهم من المهتمين بهم ولا سيما من المستشرقين ، وهناك نظريات عديدة حول أصل الكرد ، ينظر - على سبيل المثال - : (شرفنامه) للأمير شرفخان السبديسي ، الطبعة الثانية ، أبريل ، ٢٠٠٣ ، و (الأكراد) لباسيل نيكيتين ، طبعة دار الروائع بيروت ، و (كردستان والكرد) لعبد الرحمن قاسملي ، المؤسسة اللبنانية ، ١٩٧٠ ، و (مع الأكراد) لتوما بوا ، بغداد ١٩٧٥ ، وغيرها .

(٢) تنسب هذه الدولة إلى ساسان الذي كان سادناً لبيت النار الخاص بالألهة (أناهيتا) وهو جد أردشير الأول (٢٢٤ - ٢٤١ م) مؤسس الدولة الساسانية الذي تمكن من قتل آخر ملك فرثي (أشغاني - ملوك الطوائف) أردوان الخامس ، وبعدها دخل طيسفون (وهي المدائن جنوبي بغداد حالياً) وتلقب بلقب (شاهنشاه) منذ ذلك التاريخ ، ينظر : تاريخ إيران في عهد الساسانيين ، آرثر كريستنسن ، ترجمة يحيى الخشاب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ٧٦ .

الرومانية ، وكان الرومان قد اشترطوا إقامة دولة في أرمينيا تضم الأقسام الشمالية من مناطق كوروثين (في كردستان تركيا حالياً) وبذلك أصبحت بلاد الكرد خاضعة لثلاث قوى أساسية تحيط بها من كل جانب (١) .

ثم كانت الحرب سجلاً بين الفرس والرومان ، وكانت كردستان بحكم وقوعها بين حجري الرحي الفارسي والروماني تنال القسط الأكبر من الأذى والخراب ، وكان الكرد يجبرون في كثير من الأحوال على تغيير ولائهم حسب تغيير الطرف الغالب .. لكنهم كانوا في الغالب مواليين للفرس بسبب الدين والواحد من ناحية ، ولكون أغلبهم مناطقهم واقعة تحت الحكم الساساني .

وهكذا بقيت الأمور حتى انتهى الحكم الساساني بيد المسلمين الفاتحين منتصف القرن السابع الميلادي .

المطلب الثاني : الكرد بعد دخولهم في الإسلام :

مر بنا في المطلب الأول أن الكرد كانوا تابعين للدولة الساسانية الفارسية قبل وصول الفتح الإسلامي لبلادهم ، ولم يكن لهم أي كيان سياسي خاص بهم ، لذلك ارتبط مصيرهم حينئذ بمصير الدولة الساسانية التي سقطت عاصمتها طيسفون (المدائن) وفرّ آخر ملوكها يزدجر الثالث مع أفراد حاشيته ، بعد الهزيمة القاسية التي مني بها الفرس في معركة القادسية سنة ١٦ هـ ٦٣٧ م (٢) .

وبعد انهيار الدولة الساسانية تقدمت طلائع الفتح الإسلامي شمالاً نحو البلاد الكردية ، ويبدو من خلال دراسة وتحليل المصادر التاريخية ومقارنة بعضها ببعض أن خطة الفتح الإسلامي للمنطقة الكردية الشرقية كانت منسقة ، وأنها نفذت على محور رئيسي وعدة محاور ثانوية وكالتالي :

(١) خلاصة تاريخ كرد وكردستان من أقدم العصور حتى الآن ، محمد أمين زكي ، ترجمة محمد علي عوني ، بيروت ، الجمعية الخيرية الكردية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣ ، ١ / ١١٤ .

(٢) ينظر : فتوح البلدان للبلاذري ، ص ٢٦٤ ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ، طبعة دار المعارف - مصر ، (٤ / ٢٤) .

أما المحور الرئيسي فيبدأ من موقع جلولاء - خانقين - قصر شيرين - حلوان^(١) .
وأما المحاور الثانوية فتتضمن عدة فروع :
أ - محور جلولاء - البندنجين .
ب - محور جلولاء - الراذانات - دقوقا - خانيجار - سن بارما - بوازيج الملك -
شهرزور^(٢) .
ج - محور المدائن - بهندف - ماسبذان^(٣) .
وحول تحديد تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد الكرد هناك ثلاث روايات مختلفة
وردت في المصادر الإسلامية ، وهي :
١ - اعتبار سنة (١٦) من الهجرة تاريخاً للفتح ، ورد ذلك في مصدرين اثنين
هما : فتوح البلدان للبلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري
المتوفى سنة ٣١٠ هـ .
٢ - اعتبار سنة (١٧) هجرية تاريخاً للفتح ، ورد ذلك في تاريخ خليفة بن
خياط المتوفى سنة ٢٤٠ هـ .
٣ - اعتبار سنة (١٩) هـ سنة للفتح وإليه ذهب يعقوبي المتوفى سنة ٢٨٤ هـ
في تاريخه .
وبدراسة وتحليل هذه الروايات توصل أحد الباحثين المعاصرين^(٤) إلى أن التاريخ
الذي اتفق عليه البلاذري والطبري وهو سنة (١٦) هجرية هو التاريخ الصحيح

(١) ينظر : فتوح البلدان للبلاذري ، ص ٢٦٤ و ٢٩٩ ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري (٤ / ٢٨) .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ، ص ٢٦٤ و ٢٦٥ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك للطبري ، (٤ / ٣٧) .

(٤) ينظر : الكرد مصادر ومعالم تاريخهم في صدر الإسلام ، فرست مرعي ، ص ١١٧ .

للفتح ، لأن تمصير الكوفة كانت سنة (١٧) هجرية ، وقد أجمع المؤرخون على أن تمصيرها جاءت بعد فتوح المدائن وجولاء وغيرها (١) .

وبعد تمكن المسلمين من فتح حلوان أمر الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قائد الفتح في العراق سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - بالتوقف عن التوغل في بلاد الجبل (كردستان) إيثاراً لسلامة المسلمين ، ثم رجع فأذن له بذلك بعد أن أخبر بأن الحشود المعادية من الفرد والكرد تتجمع هناك وتشكل خطراً على الجيش الإسلامي المتواجد في منطقة السواد ، فتقدم المسلمون والتقوا هناك بالجيش الفارسي - وكان فيهم الكرد - فهزمهم ، وتخلصوا من خطرهم (٢) .

هذا بالنسبة إلى المناطق الجنوبية الشرقية لبلاد الكرد ، أما المناطق الغربية والشمالية منها المحاذية للجزيرة الفراتية ، فقد اتفق المؤرخون المسلمون على أنها فتحت على يد الصحابي عياض بن غنم الفهري (٣) سنة (١٩) من الهجرة (٤) ، وقد شجع هذا الانتصار السريع في فتح المناطق الواقعة غربي كردستان الجيش الإسلامي إلى التقدم لفتح مناطق كردية أخرى تقع إلى الشمال وتاخم أرمينيا (٥) .

أما بخصوص فتح كردستان المركزية ، وأعني بها المناطق التي يسكنها الكرد فقط ولا يزارهم فيها أي قوم آخر ، فالروايات بشأن فتحها تكاد تكون نادرة ، ولعل البلاذري هو المؤرخ الوحيد الذي تطرق في رواياته إلى ذكر مناطق الكرد

-
- (١) تجارب الأمم ، أبو علي مسكويه ، دار سروش للطباعة ، طهران ، ١٩٨٧ ، (١ / ٢٢٤) ، والمنتظم في أخبار الملوك والأمم ، ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، (٦ / ٢١٦) .
 - (٢) تاريخ الطبري ، (٤ / ٢٨-٣٧) ، والكامل في التاريخ لابن الأثير (٢ / ٥٢١-٥٢٥) .
 - (٣) صحابي قرشي ، أسلم قبل الحديبية وشهدها مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - شارك في فتح الشام والعراق ، وكان أحد قادة كراديس الميسرة في اليرموك ، توفي بالشام سنة ٢٠ هـ عن ستين عاماً ، ودفن في حمص . ينظر : طبقات ابن سعد (٧ / ٣٩٨) .
 - (٤) فتوح البلدان للبلاذري ، ص ١٨٠ .
 - (٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢ / ٥٣٥) .

المركزية (معاقل الأكراد)^(١) ، وتحديد الوقت الزمني لعملية الفتح ، مع الإشارة الواضحة إلى أن هذه المناطق فتحت عنوة^(٢) .

وعلى أية حال يعد الصحابي عياض بن غنم أول صحابي وقائد إسلامي يدخل عمق كردستان ، لاسيما أنه وصل بفتوحاته إلى منطقة قردى (كردى) التابعة لجزيرة بوطان (ابن عمر في المصادر الإسلامية) وجاء على أثرها بطريق الزوزان ، فطلب أهلها الصلح وأبدوا استعدادهم لدفع الجزية نهاية سنة (١٩ هـ) ، وتعد منطقة قردى أقدم مناطق استيطان الكرد ، حيث أنهم سكنوا فيها لأكثر من ألف سنة قبل الفتح الإسلامي^(٣) .

وبعد الفتح الإسلامي لكردستان بدأ الكرد يدخلون في الإسلام رويداً رويداً ، وحسن إسلامهم لتوافقه مع ما جبلوا عليه من الخلال الطيبة ، وكان لهم دور بارز في خدمة الإسلام في أكثر من جانب - كما سنذكره في المبحث التالي - وشاركوا في مواجهة الصليبيين ، بل كانوا القادة في ذلك يتقدمهم الناصر صلاح الدين الأيوبي ، كما اشتركوا في أغلب القلاقل والثورات التي نشبت في العهد الأموي والعباسي والبويهي والسلجوقي .

وبعد ظهور الدولة العثمانية السنية وتوسعها نحو الشرق على حساب الدولة الصفوية الشيعية ، انضم أغلب الكرد - لدوافع مذهبية وغيرها - إلى العثمانيين في بدايات القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وأعلن الأمراء الكرد ولاءهم للسلطنة العثمانية على إثر معاهدة وقعوها مع السلطان العثماني الذي تعهد بعدم

(١) فتوح البلدان للبلادري ، ص ٣٣٧ ، وهو يقصد بمعاقل الكرد المدن والقرى والقلاع الواقعة شمال وشرق الحصن الشرقي (نينوى) أي ما يسمى اليوم محافظة أربيل ودهوك والأجزاء الشرقية من محافظة نينوى بالعراق .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٣) ينظر : دراسات كردية في بلاد سوبارتو ، للدكتور جمال رشيد ، طبعة الأمانة العامة للثقافة ، أربيل ١٩٨٦ ، ص ٨٠ و ١١٦-١١٧ .

التدخل في شؤون الإمارات الكردية التي بلغت (٥٥) وحدة إدارية وبقيت شبه مستقلة^(١) .

وكانت هناك مناطق كردية تابعة للدولة الصفوية ، ونتيجة لتنافس الدولتين الصفوية والعثمانية المستمر حاول الطرفان كسب ود الأمراء الكرد وجعلوا إماراتهم حاجزاً لهم في وجه العدو ، ولتفرق الأمراء الكرد وعدم اجتماعهم في كيان واحد كانت خارطة بلادهم عموماً وإماراتهم خصوصاً تتبدل من حين لآخر ولا تستقر على صورة واحدة^(٢) .

(١) ينظر : شرفنامه للبدليسي ، ترجمة محمد علي عوني ، طبعة القاهرة ، (١ / ٤٢٥ - ٤٢٦) .
(٢) ينظر : كورد وكوردستان لمحمد أمين زكي (بالكردية) ، ط بغداد ١٩٣١ ، (١ / ١٦٠) .

المبحث الثاني جهود الكرد في خدمة الإسلام

بعد دخول الكرد في الإسلام في عصر الخلافة الراشدة بدأت مساهماتهم في خدمة الإسلام تتجلى واضحة في العصور الأولى التي تلت العصر الراشدي ، حيث كان مثلهم مثل بقية إخوانهم المسلمين من العرب والفرس والترك إذ خدموا الإسلام في المجالات التي تتطلبها الماسة للمجتمع الإسلامي آنذاك ، ومساهماتهم تلك متنوعة وتشمل مجالات عديدة ، لكننا هنا نشير إلى أبرز تلك المجالات والتي بقيت آثارها بعد ذلك قرون عديدة ، ونعني بها :

أولاً : المجال الجهادي (العسكري) في خدمة الإسلام ضد الأعداء الخارجيين .
ثانياً : المجال العلمي وذلك بنشر علوم الشريعة واللغة وغيرها تبصرة للمسلمين بحقيقة دينهم .

وستتناول هذين المجالين في مطلبين اثنين .

المطلب الأول : المجال الجهادي (العسكري) :

وللضرورة المنهجية نستطيع أن نحدد هذا المجال المهم في ثلاث فقرات :

أولاً : المشاركة في حماية الثغور الإسلامية أو حماية الحدود :

كانت كردستان الواقعة جغرافياً ضمن حدود الدولة الإسلامية منذ عصر الخلافة الراشدة ، وكانت تحاد إقليم أرمينيا الذي كان أهلها على النصرانية منذ سنة ٣١٤ م وهذا يعني أن الحدود الكردية الأرمينية كانت بمثابة مناطق الثغور (الحدود) للدولة الإسلامية ، وكان لا مناص من أن تحدث احتكاكات بين الكرد المسلمين والأرمن النصارى ، وقد حدث أكثر من مرة - سواء من العهد الأموي أو العهود التالية - وأن

هاجم الأرمن ومعهم إخوانهم في الدين من البيزنطيين والكرجيين^(١) على الثغور الإسلامية (في كردستان) فكان الكرد ومن معهم من المسلمين يقومون قومة رجل واحد لنجدة أهل الثغور ، وكانت الدولة الكردية التي تجابه الأرمن في حين من العهد العباسي هي الدولة الشدادية ، فإنه وبعد وفاة محمد بن شداد مؤسس الدولة الشدادية الكردية تولى ابنه فضل الأول الحكم ، وهو المعروف في المصادر الإسلامية بفضلون وفي المصادر الأرمنية ببذلون ، وقد تمكن فضلون هذا من السيطرة على عاصمة أرمينيا وأجزاء كثيرة من جورجيا ، وخلال حكمه الذي دام (٤٧) سنة قام بأعمال جهادية كبيرة من أجل حماية الثغور الإسلامية ، والرد على التهديدات النصرانية للدولة الإسلامية^(٢) .

وكانت للدولة المروانية الكردية أيضاً في العهد العباسي دور بارز في حماية الثغور الإسلامية في بلاد الكرد وحماية قوافل الحجاج أيضاً ، فقد حدث وأن هاجم الأرمن على قوافل حجاج خراسان وطبرستان سنة ٤٢٧ هـ - ١٠٣٥ م فقتلوا الكثير منهم وسبوا النساء ونهبوا الأموال ، فلما سمع الأمير المرواني نصر الدولة بذلك جمع عساكره وعزم على غزوهم ، فلما علم الأرمن بذلك خافوا منه وأعلنوا استعدادهم لإعادة ما نهبوه وإطلاق من أخذوه من الأسرى والسبي ، فأجابهم الأمير الكردي إلى الصلح ، بعد أن أملى عليهم شروطه^(٣) .

ومن جهة أخرى جاء في حوادث سنة ٤٢٣ هـ - ١٠٣١ م أن نائب الأمير المرواني نصر الدولة في جزيرة ابن عمر قام بتحصيد عدد كبير من المجاهدين قدر عددهم بعشرة آلاف رجل ، وقادهم إلى غزو الأرمن الذين كانوا يهددون الثغور

(١) وهم أهل جورجيا الحالية .

(٢) ينظر : لقاء الكرد واللان في بلاد الباب وشروان ، لجمال رشيد أحمد ، دار آراس للنشر ، أربيل ، ٢٠٠١ م ، ص ٢٢٠ .

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ، (٦ / ٨٢) .

الشمالية ، وتمكن من الإيقاع بهم وتكبيدهم خسائر فادحة ، فضلاً عن استيلائه على غنائم كثيرة ، ثم عاد من غزوته ظافراً^(١) .

ثانياً : التصدي لهجمات الأعداء :

كان للکرد مشاركات واضحة في مجال التصدي لهجمات الأعداء الخارجيين من الروم البيزنطيين والمغول الغزاة وغيرهم ، ولا يتسع المجال لذكر تلك المشاركات ، ولكن أحب أن أشير في هذه الفقرة - للتمثيل فقط - إلى دور الكرد البارز إحدى المعارك الفاصلة التي واجه المسلمون فيها الروم ، وهي معركة ملاز كرد سنة ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م .

فقد تناهى إلى سمع السلطان السلجوقي ألب أرسلان أن الجيش البيزنطي الذي يقوده الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينيس (١٠٦٧ - ١٠٧١ م) قد تحرك نحو البلاد الإسلامية ، فتهيأ السلطان السلجوقي لملاقاته وتقدم بجيشه نحو منطقة ديار بكر ، وهناك التحق به الأمير الكردي المرواني حاكم ديار بكر نظام الدين بن نصر الدولة ، ولما وصل الإمبراطور الروماني بجيشه الجرار إلى مدينة (خلاط) طلب منه السلطان السلجوقي المهادنة لكنه أبى ذلك وهدده باحتلال عاصمته ، فلم يبقَ أمام السلطان المسلم إلا المواجهة ، ولأنه كان بعيداً عن عاصمته^(٢) ولم يستطع طلب النجدة فقد أسعفه الأمير الكردي نظام الدين المرواني بقوة كبيرة من المجاهدين الكرد قدر عددهم بعشرة آلاف رجل^(٣) ، وقد التحم الجيشان بعد ذلك في معركة فاصلة قرب مدينة ملاز كرد في شهر ذي القعدة من سنة ٤٦٣ هـ وأسفرت المعركة عن هزيمة ساحقة

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ، (٦ / ٦٧) .

(٢) كانت عاصمته هي مدينة الري التي بنيت العاصمة الإيرانية طهران على أنقاضها .

(٣) تاريخ ابن أبي الهيثم ، تحقيق د. صبحي عبد المنعم محمد ، دار رياض الصالحين ، دمشق ،

الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م ، ص ١١٨-١١٩ .